الباب الرابع عشر

فيما جاء فى أوله صاد ، وهو تسعة وخمسون مثلا[١]

أَصْنَعُ من سُرْفَة . أَصنع من تَنَوُّط . أَصنع من النَّحْل . أَصنع من دُود القَزّ . أَصدَقُ من قَطَاة . أَصدق ظَنًّا من أَلْمَعِيّ . أَصْفَى من الدَّمْعة . أَصفى من عَيْن الغُراب . أَصفى من عَيْن الديك . أَصفى من الماء . أَصفى من ماء المَفاصل . أَصفى من جَنَى النَّحْل . أَصفى من لُعاب الجُنْدَب . أَصفى من لُعاب الجَراد . أَصْلَبُ من الجَنْدَل . أَصلب من الحَجَر[٢] . أَصلب من الحَدِيد . أَصلب من النُّضَار . أَصلب من عُود النَّبْع . أَصْرَدُ من جَرادة . أَصرد من عَنْزٍ جَرْباء . أَصرد من عَيْن الجَرْباء . أَصرد من السَّهْم . أَصرد من خَازِقِ وَرَقَة . أَصْعَبُ من رَدِّ الجَمُوح[٣] . أَصعب من نَقْلِ صَخْر . أَصعب من قَضْم قَتٍّ . أَصعب من رَدِّ الشُّخْب فى الضَّرْع . أَصعب من وُقُوف على وَتَدٍ . أَصْفَرُ من ليلة الصَّدَر . أَصْلَفُ من جَوْزٍ فى غِرَارَة[٤] . أَصْفَقُ من ظُفُر . أَصفق من وَجْه ، أَصْوَلُ من جَمَل . أَصْغَر من قُراد . أَصغر من صُؤابَة . أَصغر من حَيَّة . أَصغر من بُلْبُل . أَصغر من صَعْوة . أَصغر من وَصَعَة[٥] . أَصْيَدُ من لَيْثٍ عِفِرِّين . أَصيد من ضَيْوَن . أَصْبَرُ من ضب .

---

(١) سائر النسخ « وهو ثمانية وخمسون مثلا » والمثل « أصبر من حمار » ساقط من سائر النسخ .

(٢) رواية المثلين فى الأصل « أصلد » وما أثبته من سائر النسخ ، وهو موافق لما فى العسكرى والميدانى والزمخشرى .

(٣) فى الأصل « أصرد » وهو تحريف صوبته من سائر النسخ وكتب الأمثال .

(٤) ت ، ق « أصلب من جوف فى غرارة » وهو تحريف .

(٥) رواية الثلاثة فى الأصل « أصفر » بالفاء ، وما أثبته من سائر النسخ موافق لما فى كتب الأمثال .

أَصْبَرُ من حمار. أصبر على الذلِّ من وَتِد. أصبر من الأَثَافِيِّ على النار[١] أصبر من الأَرض. أَصبر من حَجَر. أَصبر من عَوْدٍ بدَفَّيْه جُلَبٌ. أَصبر من ذِي ضَاغِط. أَصبر من جِذْل الطِّعَان. أَصَحُّ من ظَبْي. أَصح من ظَلِيم. أَصح من ذئب. أَصح من عَيْر. أَصح من عَيْرِ الفَلاة. أَصح من عَيْر أَبِي سَيَّارة. أَصح من بَيْض النعام. أَصَبُّ من المُتَمَنِّيَة.

التفسير

٣٧٧ – أَما قولهم: أَصْنَعُ من سُرْفَةٍ؛ فإنها دُوَيبَّة[٢] اختلفوا فى نَعْتها، فقال اليَزيدىُّ: هى دويبةٌ صغيرة، تَثْقُب الشجَرَ وتَبْنى فيه بَيْتًا، وقال أَبو عمرو بن العلاء: هى دُوَيبَّةٌ[٢] مثل نِصْفِ العَدَسة، تَثْقب الشجَرَ، ثم تَبْنِى فيه بيتًا من عِيدانٍ تجمعُها، مثل غَزْلِ العَنْكبوت، مُنخَرِطًا من أَسفله إلى أَعلاه، كأَنَّ زَواياه قُوِّمت على مِحَطٍّ[٣]، وله فى إحدى صفائحه بابٌ مُربَّع، قد أُلْزمت أَطرافُ[٤] عِيدانه من كل صَفِيحةٍ أَطرافَ[٤] عِيدان الصَّفيحة الأُخرى، حتى كأَنها مَغْرُوَّة. وقال محمد بن حبيب: هى دُودةٌ[٥] تَنْسج على

(١) ت «من الإناء على النار».

٣٧٧ – العسكرى ١/٥٨٣، الميدانى ١/٤١١، الزمخشرى ١/٢١٣، الحيوان ١/٢٢٠، اللسان (سرف)، الثمار ٤٣٤.

(٢ – ٢) ساقط من الأصل، وأثبته من سائر النسخ.

واليزيدى هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة، وقيل له اليزيدى، لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدى مؤدباً لولده فنسب إليه، وكان صحيح الرواية ثقة صدوقاً، وكان أحد أكابر القراء، وكان مع ذلك أديباً شاعراً مجيداً، وتوفى عام ٢٠٢ هـ.

(٣) م «على مخط» وهو تحريف، والمحط والمحطة: حديدة أو خشبة يصقل بها الجلد حتى يلين ويبرق.

(٤ – ٤) ساقط من ت، ق، وفى الأصل «قد ألزمت أطراف عيدانه من كل عيدان» وما أثبته من م موافق لما فى الميدانى.

(٥) سائر النسخ «دويبة».

تنفسها بيتًا ، فهو نَاوُوسُها حَقًّا ، والدليل على ذلك أنه إذا نُقِض هذا البيتُ لم تُوجَد الدودةُ فيه حَيَّةً أَصْلًا ، وزاد بعضُ رواة الأخبار على ابن حبيب زيادةً ، فزَعم أن الناس فى أول الدهر كانوا يَتعلَّمون الحِيَلَ من أفعال البهائم ؛ تَعَلَّموا من السُّرْفة بناءَ النَّوَاوِيس على مَوْتاهم[1] ، وأنَّها فى خَرْطٍ وشَكْلٍ كبَيْت السُّرْفة ، ويقال : وادٍ سَرِفٌ ، وأَرْضٌ سَرِفَةٌ ، وسُرِفَت الشجرةُ ، إذا أصابتها السُّرْفَة ، ويقال أيضًا : « أَصْنَعُ من سُرَفٍ »[2] .

٣٧٨ – وأما قولهم : أَصْنَعُ من تَنَوُّطٍ ؛ فإنه طائر يُرَكِّب عُشَّه تركيبًا بين عودَيْن من أعواد الشجرة ، فينَسجه كقارورة الدُّهن ، ضيقَ الفم ، واسعَ الداخل ، فيُودِعه بيضَه ، فلا يُوصَل إليه حتى تَدْخل اليد فمه إلى المِعْصَم .

٣٧٩ – وأما قولهم : أَصْنَعُ من نَحْل ؛ فلِمَا فيه من النِّيقة فى عمل العَسَل[3] ، قال الشاعر :

فجاءَ بمَزْجٍ لم يَرَ الناسُ مثلَه هو الضَّحْكُ إلا أنه عَمَلُ النَّحْلِ[4]

٣٨٠ – وأما قولهم : أَصْدَقُ من قَطَاة ؛ فلأن لها صوتًا واحدًا ، لا تُغَيِّره ، وصوتُها حكايةٌ[5] لاسمها ، تقول : قَطَاقَطَا ، ولذلك تُسمِّيها العربُ الصَّدُوقَ ، وكذلك قولهم : « أَنسَبُ[5] من قَطَاة » لأنها إذا صَوَّتَت عُرِفَت ، [6] وفى كتاب العين أن صوت القَطاة القَطقَطَة ، ومَشْيُها يسمَّى الاقْطِيطَاءَ[6] .

---

(١) سائر النسخ « إحداث بناء النواويس » والنواويس : جمع ناووس ، وهو مقبرة النصارى .

(٢) المثل ساقط من م .

٣٧٨ – العسكرى ١/٥٨٣ ، الميدانى ١/٤١١ ، الزمخشرى ١/٢١٢ ، الحيوان ٧/١٠ .

٣٧٩ – العسكرى ١/٥٨٣ ، الميدانى ١/٤١١ ، الزمخشرى ١/٢١٢ .

(٣) يقال : تنوق فى الأمر وتأنق فيه ، إذا جوده وبالغ فيه ، والاسم منه : النيقة .

(٤) البيت لأبى ذؤيب ، ديوان الهذليين ١/٤٢ ، والمعانى الكبير ٦١٩ ، واللسان والتاج (ضحك) .

٣٨٠ – العسكرى ١/٥٨٤ ، الميدانى ١/٤١٢ ، الزمخشرى ١/٢٠٦ ، الحيوان ٥/٥٧٣ ، اللسان (قطا) ، الثمار ٤٨٢ .

(٥ – ٥) ساقط من سائر النسخ ، وانظر المثل ٦٦١ .

(٦ – ٦) ساقط من سائر النسخ .

٣٨١ – وأما قولهم : أَصْدَقُ ظَنًّا من أَلْمَعِيٍّ ؛ فهو الذى يَظن الظنَّ فلا يُخْطئ ، قالوا : واشتقاقُه من لَمَعانِ النار وتَوَقُّدِها ، قالوا : واللَّوْذَعِيُّ أيضًا مثل الأَلْمَعِيّ ، واشتقاقه من لَذْع النار ، والأَحْوَذِيُّ : القَطَّاع للأُمُور ، والأَحْوَزِيّ : الجامع لما شَذَّ .

٣٨٢ – وأما قولهم : أَصْفَى من ماء المَفَاصِل ؛ فهو جمع المَفْصِل بين جَبَلَيْن[1] .

٣٨٣ – وأما قولهم : أَصْفَى من جَنَى النَّحْل ؛ فهو العَسَل ، وهو المَزْج والأَرْى ، والضَّحْك ، والضَّرب أيضًا .

٣٨٤ – وأما قولهم : أَصْفَى من لُعَاب الجَراد ؛ فمأْخوذٌ من قول الأَخطل :

إذا ما نَدِيمِى عَلَّنِى ثم عَلَّنِى ثلاثَ زُجَاجَاتٍ لهنَّ هَدِيرُ[2]
عُقَارًا كَعَيْنِ الدِّيكِ صِرْفًا كأَنَّه لُعابُ جرادٍ بالفلاة يَطِيرُ

---

٣٨١ – العسكرى ١/٥٨٤ ، الميدانى ١/٤١٨ ، الزمخشرى ١/٢٠٥ .

٣٨٢ – العسكرى ١/٥٨٤ ، الميدانى ١/٤١٢ ، الزمخشرى ١/٢١٠ ، اللسان (فصل) الثمار ٥٦١ .

(١) فى الأصل « فهو الفصل بين الجبلين » وما أثبته من سائر النسخ ، وهى رواية الميدانى والزمخشرى ، وزاد الزمخشرى فى تفسير المثل قوله : « وماؤه أصفى ماء وأرقه ، قال أبو ذؤيب :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
مطافل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وقال كثير :

وما قرقف من أذرعات كأنها إذا سكبت من دنها ماء مفصل

وقيل : هو ماء اللحم الذى يجرى من المفصل ، وهو صاف جداً ، وبه تشبه الخمر فى الصفاء والصهبة ، قال أبو ذؤيب :

عقار كماء النيء ليست بخلة ولا خمطة يكوى الشروب شهابها »

٣٨٣ – العسكرى ١/٥٨٤ ، الميدانى ١/٤١٢ ، الزمخشرى ١/٢١٠ .

٣٨٤ – العسكرى ١/٥٨٥ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢١٠ .

(٢) الأول فى ديوانه ١٥٤ ، وبعده :

جعلت أجر الذيل منى كأننى عليك أمير المؤمنين أمر

وهما فى المعانى الكبير ٤٥٩ .

٣٨٥ – وأما قولهم: أَصْرَدُ من جَرادة، فلأنها لا تُرَى فى الشتاء أبدًا لقلة صَبْرها على البرد .

٣٨٦ – وأما قولهم : أَصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْبَاء ،فمن الصَّرَد الذى هو البَرْد ، وذلك أنها لا تُدْفَأ لقلة شَعْرها ورِقَّة جِلْدها .

٣٨٧ – وأما قولهم : أَصْرَدُ من عَيْن الحِرْبَاء؛ فإن هذا المثلَ تصحيفٌ للمثل الذى قبله[1] ، إلا أن بعضَ الناس فَسَّره على وجه مُطَّرِد ، فقال : الحِرْبَاءُ تستقبل الشمسَ أبدًا بعينها ، تَسْتَجلب إليها الدفءَ ، وهو مَخْلَصٌ حَسَن .

٣٨٨ – وأما قولهم : أَصْرَدُ من السَّهْم ؛ فمن الصَّرَد الذى هو النُّفُوذ ، يقال : صَرِدَ السَّهْمُ صَرَدًا ، إذا نَفَذ فى الرَّمِيَّة ، قال الشاعر :

فما بُقْيَا علىَّ تركتُمَانِى ولكن خِفْتُمَا صَرَدَ النِّبَالِ[2]

٣٨٩ – وأما قولهم: أَصْرَدُ من خازِقِ وَرَقَة؛ فهو السهم ، والخازق : النافذ ، [3]ويقال فى مثل آخر : « وَقَع على خازِقِ وَرَقَة »[3] ويقال ذلك

---

٣٨٥ – العسكرى ١/٥٨٥ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٧ ، الحيوان ٥/٥٥٢ .

٣٨٦ – العسكرى ١/٥٨٥ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٧ ، والمثل بتفسيره ساقط من م .

٣٨٧ – العسكرى ١/٥٨٥ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٨ .

(١) قال الميدانى تعليقاً على هذا : « قلت إنما يكون هذا لو قيل: « عين حرباء » منكراً ، فأما إذا قالوا : « من عين الحرباء » معرفاً بالألف واللام ، ولا يقال : « عنز الجرباء » فكيف يقع التصحيف ؟ » .

٣٨٨ – العسكرى ١/٥٨٥ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٦ .

(٢) البيت فى اللسان والتاج (صرد) بنسبته للعين المنقرى يخاطب جريراً والفرزدق ، وهو ضمن ثلاثة له فى الشعر والشعراء ٤٧٤ ، وطبقات الجمحى ٣٤٢ ، والمحاسن والمساوى ٢/٣٠١ ، والوحشيات ٦٣ ، وضمن أربعة فى الحيوان ١/٢٥٦ .

٣٨٩ – العسكرى ١/٥٨٦ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٧ ، اللسان (خزق) وروايته فى اللسان (أنفذ) وهما سواء .

(٣ – ٣) ساقط من ق ، والمثل فى الزمخشرى ٢/٣٧٦ ، واللسان (خزق) .

للدَّاهى الذى يَخْزِق الورقةَ من ثَقافته وضَبْطه للأَشياء ، ويقال : ما زال فلان يَخْزِق علينا منذ اليوم .

٣٩٠ – وأَما قولهم : أَصْعَبُ من رَدِّ الشُّخْبِ فى الضَّرْع ،فمن قول الشاعر :

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَو سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فى الضَّرْع ما قَرَى فى الحِلابِ[1]

٣٩١ – وأَما قولهم : أَصْعَبُ من وُقوف على وَتِد ؛ فمن قول الشاعر :

ولى صاحبـــانِ على هَامَتِى جُلُوسُهما مثلُ حَدِّ الوَتِدْ[2]

ثقيـــلانِ لم يَعْـــرِفا خِفَّـــةً فهـــذا الزُّكَامُ وهـــذا الرَّمَدْ

٣٩٢ – وأَما قولهم : أَصْوَلُ من جَمَل ، فمعناه : أَعَضُّ ، يقال : صال الجملُ ، وعَقَرَ الكلبُ ، وفى الحديث : « إن المعرفَة لَتَنْفَع عند الجَمَل الصَّوُول ، والكَلْب العَقُور » ، وقال الشاعر :

ولم يَخْشَـــوْا مُصَـــاوَلَةً عليهم وتحتَ الرَّغْوة اللَّبَنُ الصَّرِيحُ[3]

ويروى :

« ولم يَخْشَـــوا مَصَـــالتَه عليهم »[4]

---

٣٩٠ – العسكرى ١/٥٨٦ ، الميدانى ١/٤١٣ ، الزمخشرى ١/٢٠٨ .

(١) البيت فى اللسان والتاج (حلب،علب) دون نسبة ، ومع اختلاف فى الرواية ، وروايته فى ت ، ق « فى العلاب » بالعين ، وهما روايتان .

٣٩١ – العسكرى ١/٥٨٦ ، الميدانى ١/٤١٤ ، الزمخشرى ١/٢٠٨ ، والمثل بتفسيره ساقط من م .

(٢) الشعر فى العسكرى والميدانى دون نسبة .

٣٩٢ – العسكرى ١/٥٨٧ ، الميدانى ١/٤١٤ ، الزمخشرى ١/٢١٣ ، الثمار ٣٥٠ .

(٣) البيت فى اللسان والتاج (صول) دون نسبة،وضمن خمسة فى مجالس ثعلب ١/٨ بنسبتها إلى رجل من بنى سليم . وروايته فى سائر النسخ « مصالته » .

(٤) سائر النسخ « لصولته » .

٣٩٣ ، ٣٩٤ – وأما قولهم : أَصْبَرُ من ذى ضَاغِط ، وأَصْبَرُ من عَوْد بدَفَّيْه جُلَبٌ ؛ فإن لهذين المثلين حديثًا ، وهو أن كلبًا كانت أوقعت ببنى فَزارَةَ يومَ العَاهِ قبل اجتماع الناس على عبد الملك بن مروان[1] ، فبلغ ذلك عبدَ العزيز ابن مروان ، فأظهر الشَّماتةَ ، لأن أمَّه كانت كَلْبِية ، وهى ليلى بنت الأَصْبغ بن زَبَّان ، وكانت أمُّ بِشْر بن مروان قُطْبَةَ بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فقال عبدُ العزيز لبشر[2] أخيه : أما علمتَ ما صنع أخوالى بأخوالك ؟ ! وأخبره الخبرَ ، فقال بِشْر[2] : أخوالُكَ أَضْيَقُ أَسْتَاهًا من ذلك ، فجاء وفدُ بنى فزارة إلى عبد الملك يخبرونه بما حَلَّ بهم ، ثم إن حُمَيْدَ بن بَجْدل الكَلْبِي أتاهم بعَهْدٍ من عبد الملك فى أنه مُصَدَّق ، فسمعوا له وأطاعوا ، فاغترَّهم فَقَتَل منهم نَيِّفًا وخمسين رجلا ، فأعطاهم عبدُ الملك نصفَ الحَمالاتِ[3] ، وضمن لهم النصفَ الباقى فى العام المقبل ، فانصرفوا ودَسَّ بشرُ بن مروان إليهم مالًا ليشتروا به السِّلاح والكُرَاع ، ويَغْزُوا كلبًا ، ففعلوا ذلك ولَقُوهم ببنات قَيْن[4] ، فتَعَدَّوْا عليهم فى القتل ، فقام بِشْرٌ فدخل إلى عبد الملك وعبدُ العزيز عنده فقال : أما عرفتَ ما فعل أخوالى بأخوالك ؟ ! أخبره الخبَرَ ، فغضب عبدُ الملك لإخْفارِهم ذمَّتَه مع أَخْذهم مالَه ، فكَتب إلى الحجَّاج بن يوسف يأمره إذا فرغ من ابن الزُّبَيْر[5] أن يُوقع ببنى فَزارة ، ويأخذ من أصاب منهم إن امتنعوا عليه ، فلما فرغ الحجاجُ من ابن الزُّبَيْر[5]

٣٩٣ – البكرى ٣٩٢ ، العسكرى ١/٥٨٧ ، الميدانى ١/٤٠٩ ، الزمخشرى ١/٢٠٢ ، اللسان (ضغط) .
٣٩٤ – البكرى ٣٩٢ ، العسكرى ١/٥٨٧ ، الميدانى ١/٤٠٨ ، الزمخشرى ١/٢٠٣ .

(١) سائر النسخ « يوم الغابة » وهو تحريف ، والعاه : جبل بأرض فزارة ، ويوم العاه : من أيام العرب ، وكان لبنى كلب على بنى فزارة .
(٢ – ٢) ساقط من الأصل ، وأثبته من سائر النسخ .
(٣) الحمالات : الديات والغرامات التى يحملها قوم عن قوم .
(٤) بنات قين : موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة لبنى فزارة على بنى كلب زمن عبد الملك ابن مروان .
(٥ – ٥) ساقط من م .

نزل ببنى فَزارة فأتاه حَلْحَلَةُ بن قَيْس بن أَشْيَمَ[١] ، وسَعْدُ بن أبان بن عُيَيْنَة بن حِصن رَئِيسَا فَزارة ، فأَوثقهما وبَعَث بهما إلى عبد الملك ، فلما أبصرهما قال : الحمد لله الذى أَقَادَ منكما ، فقال حَلْحَلَةُ : أَمَا والله ما أَقَاد اللهُ مِنِّى ، ولكن نَقَضْتُ وِتْرِى ، وشَفَيْتُ صَدْرِى ، وبَرَّدْتُ وَحَرِى[٢] ، فقال عبدُ الملك : من كان له عند هذين وِتْرٌ يطلبُه فَلْيَقُمْ إليهما ، فقام سعيدُ بن سُوَيْد الكلبى[٣] ، وكان أبوه فيمن قُتِل يوم بَنَاتِ قَيْن فقال : يا حَلْحَلَةُ هل حَسَسْتَ أَبِى سُوَيْدًا؟[٤] فقال : عَهْدِى به يومَ بناتِ قَيْن وقد انقطع خُرْؤُه فى بَطْنه ، فقال : أما والله لأَقتلنَّك ، فقال : كذبتَ ، والله ما أنتَ تقتلنى[٥] ، وإنما يقتلنى ابن الزَّرْقاء ، والزرقاءُ إحدى أمهاتِ مروان بن الحكَم ، وكان يقال لها : أَرْنَب ، وكانت لها رَايَةٌ ، فكانت بنو مروان تُسَبُّ بها[٦] ، فناداه بِشْرُ بن مَرْوان ، وقال : صبْرًا حَلْحَلُ ، فقال :

أَصْبَرُ من عَوْدٍ بدَفَّيْه جُلَبْ[٧] قد أَثَّر البِطَانُ فيه والحَقَبْ

ثم التفت إلى ابن سُوَيْد فقال : يا ابن سُوَيْد[٨] أَجِدِ الضَّرْبة ، فقد وقعتْ مِنِّى بأَبيكَ ضَرْبَةٌ أَسْلَحَتْه ، فضَرب ابنُ سويد عنقَه ، ثم قُدِّم سَعِيدٌ ليُضْرَب عنقُه ، فأقبل عليه بِشرٌ فقال : صَبْرًا سَعِيدُ ، فقال :

---

(١) ت ، ق « فأتاه حلس » وهو تحريف .

(٢) سائر النسخ « وجدى » وهو تحريف ، والوحر بفتح الحاء : الغيظ والحقد والغل .

(٣) فى الأصل « شعير بن سويد » وفى م « سعد » وفى الميدانى « سفيان » والزمخشرى « سعير » وما أثبته من ت ، ق ، وانظر فصل المقال ٢٩٢ .

(٤) الحس بفتح الحاء : القتل الذريع ، وحسهم يحسهم حسا : قتلهم قتلا ذريعاً مستأصلا .

(٥) سائر النسخ « ما تقتلنى أنت » .

(٦) ت ، ق « وكانت لها راية تسب بها » .

(٧) الشعر والخبر فى معجم ما استعجم للبكرى (بناتقين) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٤ .

(٨) سائر النسخ « يا ابن استها » وهو تحريف .

أَصْبَرُ من ذى ضاغطٍ عَرَكْرَكِ[١] أَلْقَى بَوَانِى زَوْرِه للْمَبْرَكِ

فضَرَب عنقَه وألحقه بحَلْحَلَة .

والجُلَب : جمع جُلْبة ، وهى القُرْحة تَرْكَبها الجلْدةُ عند مقاربة البُرْء ، ويقال : جَمَل ذُو ضاغط ، إذا كان موضعُ إبْطِهِ يَضْغَطه أصلُ الكِرْكِرَة[٢] ، فأَثَّر فيه وسَجَحه وأَدْمَاه ، والمُعَرَّك والعَرَكْرك : الشديد ، ويقال : بَعِير جيِّد البَوَانى[٣] ، إذا كان جيدَ القوائم والأَكتاف .

٣٩٥ ـ وأما قولهم : أَصَحُّ من عَيْرِ أَبِى سَيَّارَة ؛ فأبو سَيَّارة رجل من عَدْوَان اسمه عُمَيْلَة بن خالد ، وكان له حمارٌ أسود أجاز الناسَ عليه من المزْدَلِفة إلى مِنًى أربعين عامًا ، وكان يقف فيقول : أَشْرِقْ ثَبِير كيما نُغِير ، ويقول[٤] :

خَلُّوا الطريقَ عن أَبِى سَيَّارَهْ[٥] وعن مَوَالِيــه بَنِى فَزَارَه

* حتى يُجِيزَ سالمًا حِمَارَهْ *

ويقول :

لا هُمَّ إنِّى بائع بَيَاعَــهْ[٦] إن كان إثْمٌ فعَلَى قُضَاعَهْ

ويقول :

لا هُمَّ مالِى فى الحمارِ الأَسْوَدْ[٧] أصبحتُ بين العَالَمِين أُحْسَدْ

---

(١) معجم ما استعجم ، وجمهرة أنساب العرب ٢٤٤ ، واللسان (ضغط ، عرك) بنسبته إلى حلحلة بن قيس بن أشيم ، وروايته فى الأصل « معرَّك » ، وما أثبته من سائر النسخ . وبهما روى البيت .

(٢) الكركرة بكسر الكافين : الصدر من كل ذى خف .

(٣) فى الأصل « فلان جيد البوانى » .

٣٩٥ ـ العسكرى ١/٥٨٨ ، الميدانى ١/٤١٠ ، الزمخشرى ١٠/٢٠٥ ، اللسان (سير) الحيوان ٢/٢٥٧ ، الثمار ٣٦٩ .

(٤) جملة « ويقول » ساقطة من الأصل فى المواضع الثلاثة ، وأثبتها من سائر النسخ .

(٥) الشعر فى اللسان والتاج (سير) وسيرة ابن هشام ١/١٣٤ ، والثانى ساقط من ق ، ورواية الثالث فى م « حتى يجوز » .

(٦) الشعر له فى الميدانى . (٧) الشعر له فى الميدانى .

هَلَّا يُكَادُ ذو البَعِير الجَلْعَدْ فَقِ أَبَا سَيَّارَةَ المُحَسَّدْ
من شرِّ كلِّ حاسد إذا حَسَدْ ومن أَذَاةِ النافثاتِ فى العُقَدْ

ويقول[1] : اللهم حَبِّبْ بين نسائنا ، وبَغِّض بين رِعَائِنا ، واجعل أَموالنَا فى سُمَحَائِنا .

وكان خالدُ بن صَفْوان التَّمِيمىُّ ، والفضلُ بن عيسى الرَّقَاشىُّ[2] يختاران ركوبَ الحَمِير على ركوب البَرَاذِين[3] ، ويَجعلان أَبا سَيَّارَة لهما قُدْوَةً ؛ فأَما خالدُ بن صَفْوان فإن بعضَ أَشراف البَصْرة تَلقَّاه يومًا ، فرآه على حمار فقال له : ما هذا المَرْكَب؟ فقال: عَيْرٌ من نَسْل الكُدَاد[4] ،أَصْحَرُ السِّرْبال، مُحَمْلَجُ القوائم ، مَفْتُولُ الأَجْلاد[5] ، يَحْمِل الرَّجْلة[6] ، ويبلغ العَقَبة ، ويقلُّ داؤه ، ويخفُّ دَوَاؤه ، ويمنعنى أَن أَكون جَبَّارًا فى الأَرض ، أَو أَكونَ من المُفْسدِين ، ولولا ما فى الحمار من المَنفعة لَمَا امْتَطَى أَبو سَيَّارَة ظهر عَيْرٍ أَربعين سنة .

وأَما الفَضْلُ بن عيسى الرَّقاشى فإنه سُئل أَيضًا عن ركوب الحمار،فقال : لأَنه أَقلُّ الدوابِّ مَؤُونةً ، وأَكثرُها مَعُونةً ، وأَسهلُها جِماحاً ،وأَسلَمُها صَرِيعاً ، وأَخْفَضُها مَهْوًى[7] ، وأَقربُها مُرْتَقًى ، يُزْهَى راكبُه وقد تَوَاضع بركُوبه ،

(١) هذه الجملة ساقطة من الأصل ، وأثبتها من سائر النسخ .

(٢) فى الأصل « صالح بن صفوان » وهو تحريف صوبته من سائر النسخ . وقد سبقت ترجمة خالد بن صفوان (المثل ١٢) أما الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى فهو واعظ من أهل البصرة ، وكان من أخطب الناس ، متكلماً قاصاً مجيداً ، وهو رئيس طائفة من المعتزلة تنسب إليه ، وتوفى نحو ١٤٠ هـ .

(٣) البراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب ، والواحد برذون .

(٤) ت ، ق « من بنات الكداد » وفى الأصل « من فسل الكداة » وهو تحريف صوبته من سائر النسخ وكتب الأمثال ، والكداد : اسم فحل تنسب إليه الحمر ، يقال : بنات كداد .

(٥) الصحر والصحرة : حمرة تضرب إلى غبرة ، ومحملج القوائم : مكتنزها ، حتى كأنها قد فتلت فتلا شديداً ، ويقال : فلان عظيم الأجلاد ، إذا كان ضخماً قوى الأعضاء والجسم .

(٦) الرجلة بفتح الراء : الرجالة ، وليس فى الكلام (فعلة) جاء جمعاً ، غير رجلة جمع راجل ، وكأة جمع كمء .

(٧) ت ، ق « وأحفظها » وهو تحريف .

ويسمَّى مقتصِدًا وقد أُسْرِف فى ثمنه ، ولو شاء عُمَيْلةُ بن خالد[١] أبو سَيَّارة أن يركبَ فى المَوْسِم جَمَلا مَهْرِيًّا[٢] ، أو فرسًا عربيًّا لَفَعل ، ولكنه امتطى عيْرًا أربعين سنة ، فسمع كلامَه أعرابىٌّ فعارضه فقال :[٣] الحمار شَنَار ، والعَيْرُ عار ، مُنْكَرُ الصَّوْت ، بعيدُ الفَوْت ، مُتَغَرِّق فى الوحل ، مُتَلَوِّثٌ فى الضَّحْل ، ليس يركبه فَحْلٌ ، ولا بِمَطِيَّة رَحْل[٣] ، إن أوقفتَه أَدْلى ، وإن أطلقته وَلَّى[٤] ، مُسايره مُشْرِف ، وراكبه مُقْرِف كثيرُ الرَّوْث ، قليلُ الغَوْث ، سريعٌ إلى الغِرارة ، بطىءٌ فى الغارَة ، لا تُرْقَأُ به الدماءُ ، ولا تُمْهَر به النساءُ ، ولا يُحْلب فى إناء .[٥] ووصف بعضُ البلغاء حمارًا اسْتَهْداه من رجل ، فكتب إليه : ابْغِه متجنِّبًا للزَّلَل ، متوقِّيًا للنَّبْل ، إذا خَلَّيْتُ عِنانَه وَقَف وإذا حَرَّكْتُه سار ، وإذا دخلتُ عليه ظلالاً تَطَامن ، وإذا عَطَفْتُه تَلايَن ، يُعْطِينى من السَّيْر ما أَبْغِيه ، فكتب : ارْفُقْ أيامًا لعلَّ الله أن يَمْسخَ القاضىَ حِمَارًا فأُهْدِيَه ! .

وكانت العرب تقول : إنه قيل للحمار : لِمَ لا تَجْتَرُّ ؟ فقال : أَكْرَه مَضْغَ البَاطل[٥] . وقال أبو اليَقْظان : أبو سَيَّارة أولُ من سَنَّ فى الدِّية مائةً من الإبل .

٣٩٦ ـ وأما قولهم : أَصَحُّ من بَيْضِ النَّعَام ؛ فمن قول الفرزدق يصف جوارىَ أَبْكَارًا :

---

(١) فى الأصل « عميرة بن أعزل » وهو تحريف صوبته من سائر النسخ وكتب الأمثال .

(٢) الجمل المهرى : المنسوب إلى مهرة بن حيدان ، أبو قبيلة ، وهم حى عظيم تنسب إليهم الإبل .

(٣ ـ ٣) ساقط من سائر النسخ ، ورواية الميدانى « ليس بركوبة فحل » وهى الملائمة للأسلوب.

(٤) فى الأصل « أوقفه . . . أطلقه » وما أثبته من سائر النسخ .

(٥ ـ ٥) ساقط من سائر النسخ .

٣٩٦ ـ الميدانى ١/٤١٤ ، الزمخشرى ١/٢٠٤ ، الثمار ٤٤٢ ، ٤٩٥ .

خَرَجْنَ إِلَيَّ لم يُطْمَثْنَ قَبْلِي وهُنَّ أَصَحُّ من بَيْضِ النَّعامِ[١]

٣٩٧ – وأما قولهم : أَصَبُّ من المُتَمنِّيَة ؛ فإن هذا مثلٌ من أَمثال أَهل المدينة سار فى صدر الإسلام . والمتمنِّية : امرأةٌ مدَنِيَّة عَشِقت فتًى من بنى سُلَيْم يقال له : نَصْر بن الحَجَّاج[٢] ، وكان أَحسنَ أَهل زمانه صورةً ، فضَنِيَتْ من حُبِّه[٣] ، ودَنِفَتْ من الوَجْد به ، ثم لَهِجَتْ بذِكْره حتى صار ذكرُه هِجِّيرَاها[٤] ، فمَرَّ عمرُ بن الخطاب ذاتَ ليلة ببابِ دارِها ، فسمعها وهى تقول رافعةً عقيرتَها :

أَلا سَبِيلَ إلى خمرٍ فَأَشْرَبَها أم لا سبيلَ إلى نَصْر بن حَجَّاجِ![٥]

فقال عمر : مَنْ هذه المتمنِّية ؟ فعرف خَبَرَها ، فلما أَصبح استحضر الفتى المُتَمَنَّى[٦] ، فلما رآه بَهره جمالُه ، فقال له : أَنت الذى تتمنَّاكَ الغانياتُ فى خدورهنَّ لا أُمَّ لك ، أما واللهِ لَأُزِيلَنَّ عنكَ رداءَ الجمال ، ثم دعا بحَجَّامٍ فحَلَقَ جُمَّتَه[٧] ثم تأَمَّله فقال له : أَنتَ محلوقًا أَحسنُ ، فقال . وأَىُّ ذَنْب لى فى ذلك ؟! فقال : صدقت ، الذنبُ لى أَن تركتُكَ فى دار الهجرة ، ثم أَرْكَبه جَمَلًا وسَيَّره إلى البصرة ، [٨]وكتب إلى مُجاشِع بن مَسْعود السُّلَمِىّ : إنى قد سَيَّرْتُ المتمنَّى نصرَ بن حجَّاجٍ السلمىَّ إلى البصرة[٨] ، فاسْتَلَبَ

---

(١) ديوانه ٨٣٦ .

٣٩٧ – المسكرى ١/٥٨٨ ، الميدانى ١/٤١٤ ، الزمخشرى ١/٢٠٠ .

(٢) سائر النسخ « نصر بن الحجاج بن علاط » .

(٣) ت ، ق « من أجله » .

(٤) هجيراها : دأبها وشأنها وعادتها .

(٥) البيت فى اللسان (منى) برواية مخالفة ، وعيون الأخبار ٤/٢٣ ، وضمن أبيات فى الخزانة ٢/١٠٩ .

(٦) سائر النسخ « أحضر المتمنى » .

(٧) الجمة بالضم : مجمع شعر الرأس .

(٨ – ٨) ساقط من م .

نساءُ أهلِ المدينة لفظةَ عمرَ فضربْنَ بها المثلَ ، وقلن : « أَصَبُّ من المُتَمَنِّية » فسارت مثلا .

وزعم النَّسَّابُون أن المتمنِّية كانت الفُرَيْعةَ بنت هَمَّام أمَّ الحجاج بن يوسف ، وكانت حين عشقت نصرًا تحت المُغيرة بن شُعْبة ، واحتجُّوا لذلك بحديثٍ رَوَوْه ، وزعموا أن الحجاجَ حضر مجلسَ عبد الملك يومًا ، وعروةُ بن الزبير عنده يحدِّثه ويقول : قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا ، يعنى أخاه عبدَ الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أَعِنْدَ أميرِ المؤْمنين تَكْنِى أخاك المنافقَ لا أمَّ لك ! [1] فقال له عُروة : يا ابنَ المتمنِّية ، أَلِىَ تقول هذا لا أمَّ لك ، وأنا ابنُ إحدى عجائز الجنة[2] ، صَفِيَّة وخديجة وأسماء وعائشة ! .

وكما قالوا بالمدينة : « أَصَبُّ من المتمنِّية » قالوا بالبصرة : « أَدْنَفُ من المُتَمَنَّى »[3] وذلك أن نصرَ بن حَجاج لما ورد البصرةَ أخذ الناسُ يسأَلون عنه ، ويقولون : أين هذا المُتَمَنَّى الذى سَيَّره عمر ؟ فغلب هذا الاسمُ عليه بالبصرة ، كما غلب الاسمُ على عاشقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل الثانى أن نَصْرًا لما ورد البصرةَ أنزله مُجَاشعُ بن مسعود منزلَه من أجْل قَرابَته ، وأخْدَمَه امرأتَه شُمَيْلة ، وكانت أجملَ امرأة بالبصرة ، فعلِقَتْه وعَلِقَها ، وخَفِىَ على كلٍّ واحد منهما خبرُ الآخر لملازمة مُجَاشع لضَيْفه ، وكان مجاشعٌ أُمِّيًّا ، ونَصْرٌ وامرأةُ مجاشع [4] كاتِبَيْنِ ، فَعِيلَ صَبْرُ نَصْر ، فكتَب على الأرض بحَضْرة مُجَاشع : إنى قد أحببتُكِ حُبًّا لو كان فوقَكِ لأَظَلَّكِ ، أوتحتَك

---

(١) فى الأصل « تكنى أخاك المنافق » وما أثبته من سائر النسخ .
(٢) فى الأصل « وأنا ابن عجائز الجنة » وهو خطأ صوبته من سائر النسخ .
(٣) انظر المثل ٢٥٩ .
(٤) سائر النسخ « نصر وشميلة »

لأَقَلَّكِ ، فوقَّعَتْ تحته غيرَ مُحْتَشِمة : « وأنا » فقال مُجاشعٌ لها : ما الذى كَتَبَ ؟ فقالت : كَتَبَ « كَمْ تَحْلُب ناقتُكم ؟ » فقال : وما الذى كتبتِ تحتَه ؟ فقالت : كَتَبْتُ « وأنا » فقال مجاشع : كم تَحْلُبُ ناقتُكم ؟ وأنا ؟ ما هذا لهذا مُطابق[1] ، فقالت : أَصْدُقك ، إنه كَتَب : كم تُغِلُّ أرضُكم ؟ فقال مجاشع : كم تُغِلُّ أرضُكم ؟ وأنا ؟ ما بين كلامه وجوابكِ قرابةٌ ، ثم كَفَأَ على الكتابة جَفْنَةً ، ودَعا بغلامٍ من الكُتَّاب ، فَقَرأه عليه ، فالتفت إلى نصر وقال له : يا ابنَ العم ، ما سَيَّرَك عمرُ إلَّا من خَيْر ، فقُمْ فإن وراءَكَ أَوسَعُ لك ، فنهض مُسْتَحْيِيًا ، وعَدَل إلى منزل بعض السُّلَميِّين ، ووَقع لجَنْبه ، فضَنِىَ من حُبِّ شُمَيْلَة ، ودَنِف حتى صار رَحْمَةَ[2] ، وانتشر خبرُه فضَرب نساءُ البصرة به المثل فقلن : « أَدْنَفُ من المتمنِّى » ثم إن مجاشعًا وقف على خبر عِلَّة نصر بن حَجَّاج ، فدَخل عليه عائدًا ، فلحقته رِقَّةٌ لما رأى به من الدَّنَف ، فرجع إلى بيته وقال لشُمَيْلة : عزمتُ عليكِ لَمَا أخذتِ خُبْزَةً فَلَبَكْتِها بسَمْن[3] ، ثم بادَرْتِ بها إلى نصر ، فبادرتْ بها إليه فلم يكن به نُهوض ، فضَّمته إلى صدرها ، وجعلت تُلْقِمُه بيدها ، فعادت قواه ، وبدا كأَن لم تكن به قَلَبَةٌ[4] ، فقال بعضُ عُوَّادِه : قاتل اللهُ الأَعشَى ، فلَكَأَنَّه شَهِد منهما النَّجْوَى حيث قال :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلى نَحْـرِهَا عاش ولم يُنْقَلْ إلى قابِرِ[5]

فلما فارقته عَاوَدَه النُّكْس[6] ، ولم يزل يتردَّد فى عِلَّته حتى مات منها .

---

(١) سائر النسخ « ما هذا لهذا بطبق » .

(٢) الرحمة بفتح فسكون : المحبة والشفقة ، يقال : ألقى الله عليه رحمة فلان ، أى عطفه ورقته .

(٣) م « فلكمها » وهو تحريف ، ولبك الخبز بالسمن : خلطه به .

(٤) القلبة بالتحريك : الداء ، والعيب أيضاً . (٥) ديوانه ١٣٩ .

(٦) النكس بضم النون وفتحها : عود المريض فى مرضه بعد تماثله للشفاء .